«١٠»

# أبو طويرق
# بدر بن عبدالله الكثيري

رجل الوحدة الحضرمية - أعماله الإدارية والحربية - عهده - بدر والبرتغال - بدر وعاهل الترك - سلسلة اضطرابات قبائل الحموم - نهد - عمد دوعن وسيبان ثورة المهرة - عبيد يماني - أمراء من آل كثير - أبو طويرق في المعتقل

**❖ رجل الوحدة الحضرمية:**

أبرز شخصيات آل كثير أبو طويرق بدر بن عبدالله بن جعفر الكثيري، وهو ينحدر من سلالة السلطان الكثيري الأول علي بن عمر بن جعفر مؤسس السلطنة الكثيرية في أوائل القرن التاسع الهجري وجَدّ سلاطينها أجمعين.

ولد سنة **٩٠٢**هـ وظهرت عليه بوادر الذكاء والفطنة منذ صباه، ولم يبلغ سن الرشد حتى نضجت مواهبه وظهر نبوغه، فتولى السلطنة وتصدى للحكم قبل أن يبلغ العشرين من عمره، وعرف منذ صغره بالإقدام والشجاعة والاعتماد على النفس والتطلع إلى المجد.

وقد كان جده الأمير جعفر بن عبدالله بن علي بن عمر معروفاً بالرأي الثاقب والاستقامة، وقد ضمه يوماً في حوطة سلطانة مجلس مع الشيخ عمر المحضار بن عبدالرحمن السقاف، فاقترح هذا عليه أن يكون سلطاناً في

بلدة بور المستعصية، وأكد له أن واليها قد تعب من ولايتها وأنه يستطيع أن يقنع واليها بالتنازل عن الولاية لجعفر، وكان الأمر كذلك، فقد ذهب الأمير جعفر إلى بور وتولاها صفواً عفواً، ولم يزل بها سلطاناً حتى تآمر عليه الظلفان فقتلوه سنة ٩٠٥هـ.

وتوفي والده عبدالله بن جعفر سنة ٩١٠هـ وأبو طويرق في سن السابعة، فتولى السلطنة أخوه الأكبر محمد بن عبدالله الذي حدثت بينه وبين أخيه أبي طويرق فتن ومشاغبات فيما بعد نتيجة التنافس على الحكم، وقد قيل في سبب تسميته بأبي طويرق إنه دُعي بهذه الكنية؛ لأنه طرق أراضي حضرموت من ذمار إلى ظفار.

ويعتبر أبو طويرق بحق السلطان الأول الذي عمل لتوحيد مناطق حضرموت إلى أقصى حدودها تحت سلطته ونجح في ذلك إلى حد بعيد، فقد كان يرى ضرورة القضاء على السلطات المتفرقة التي سببت من الفوضى ما كان أقل نتائجها فَقْد الأمن وخراب العمران وسوء الحالة العامة، ولذلك فهو يعتقد أن لا سلامة للبلاد إلا في أن تنضوي تحت لواء واحد وسلطة واحدة، وكان يحلم بأن يكون هو صاحبها والساهر على حمايتها.

ولم تلبث هذه الأفكار أن تحولت إلى عقيدة راسخة في دماغه، فهب بكل ما أوتي من قوة في عزيمة الجبابرة وإقدام الطامحين ينفذ برنامجه الضخم بكل وسيلة ويعمل لتحقيق أهدافه في غير كلل ولا ملل.

كان يعلم أن التفكير في وحدة سياسية كبرى تخضع لها جميع البلاد الحضرمية أمر من الصعوبة بمكان، فالأمراء من آل كثير لهم طموحهم إلى السيطرة وتطلعهم إلى النفوذ والاستغلال، وهم في سبيل ذلك مستعدون للثورة وإراقة الدماء والتضحية بأمن البلاد ووحدتها الكبرى، وكل قبيلة مسلحة تتحين كل فرصة لإعلان عصيانها وفصم كل عروة تربطها بأية سلطة

عليا في البلاد، وليست هناك وسيلة لإخضاع تلك الرؤوس المتطلعة إلى الفتنة الساعية في تجزئة البلاد غير الالتجاء إلى القوة التي تعتمد على عناصر من الخارج.

لذلك عمل أبو طويرق على أن يكون أكثر جيشه مؤلفاً من عناصر غير حضرمية، فكوّنه من الأتراك ومن يافع والموالي الإفريقيين وقبائل اليمن من الزيود وغيرهم لكي يطمئن إلى ولائهم ويضمن عدم ثورتهم وانتقاضهم، وقد وصلت إليه أول قوة تركية وهو بالشحر تحت قيادة تركي كبير يُدعى رجب في شهر جمادى الآخرة سنة ٩٢٦هـ.

وقد كان لهذا التدبير من أبي طويرق الداهية أثره الفعال في استتباب الأمن والقضاء على دابر المشاغبين، فقد عمّ الرعب الأهالي ولم يكن لهم حديث إلا رجب التركي صاحب الشوارب الطويلة ورجاله - شاربين المسكرة - وزاد في رعب الأهالي ما يحمله جيش الأتراك من الاختراع الغريب في تلك الأيام وهو البندق أبو فتيلة الذي كان لظهوره رجة كبرى كالتي أحدثها ظهور القنابل الذرية في هذه الأيام، وكان الحضارم يسمون الأتراك الروم، ومن أجل ذلك سموا هذه البنادق «بنادق الروم».

وقد امتد سلطان أبي طويرق من العوالق غرباً إلى سيحوت شرقاً، ومن السواحل الجنوبية جنوباً إلى رمال الأحقاف شمالاً، وقد أذعن له بنو عبدالواحد والعوالق وأقروا له بالطاعة، أما بلاد المهرة فقد استولى منها على قشن وبنى بها حصناً وجعل عليها نائباً من قبله، وكان المهرة يظهرون له الطاعة ويرسلون إليه الهدايا.

وقد وصفه بعض المؤرخين فقال: إنه كان شجاعاً مقداماً، حسن الأخلاق، جواداً كثير الإنفاق، وكان محظوظاً جداً لا يقصد باباً مغلقاً إلا انفتح، ولا يقدم على أمر إلا اتضح، وقال عنه بعض الفضلاء: كان بدراً منيراً أينما طلع سطع، وغيثاً غزيراً كيفما وقع نفع.

**❖ أعماله الإدارية والحربية:**

بدأ عقب توليه السلطنة بعزل الوزير مطران بن منصور سنة **٩٢٢**هـ لشيء كان ينقمه عليه، ثم قبض عليه وزجه في السجن وصادر أمواله ثم أطلقه سراً، وولى الوزارة بعده عطيف بن علي بن دحدح، وفي رجب سنة **٩٢٨**هـ أعيد مطران وعزل عطيف.

ثم اتصل بضباط من الأتراك واتفق معهم على تجنيد جيش من الترك يخضع به حضرموت عندما رأى الروح العسكرية بين جنده خامدة، وأدرك أن الثقة بينه وبين غيره من أولي الشأن في حضرموت غير متوفرة، وأن القوة التي لديه غير كافية لحل المشاكل المحيطة به، وقد وصلت إليه أول قوة تركية سنة **٩٢٦**هـ كما سبق.

وفي سنة **٩٣٧**هـ أمر أن تضرب باسمه نقود فضية من فئة الريال وفئة النصف والربع، ونقود نحاسية صغيرة وكبيرة، وفي سنة **٩٤٢**هـ ضرب أيضاً عملة تسمى «بُقشة».

وقد كان للناحية العلمية نصيب كبير من اهتمامه، فقد بث الدعاة والمعلمين في البلاد وأجرى رواتب لرجال العلم وأرباب التعليم، وأسس بالشحر مدرسة جليلة سارت بفضلها الركبان، قصدها طلاب المعرفة من كل صوب، واختار لها من الأساتذة والنظار من يشار إليهم بالبنان علماً وفضلاً، وبذل مجهوداً كبيراً لإقناع العلامة نور الدين علي بايزيد بتولي إدارة هذه المدرسة والتدريس والإفتاء بها، وجعل عليها وقفاً يقوم بما تتطلبه المدرسة من نفقات.

وقد كان السلطان بدر حريصاً على تأمين حدود بلاده من الشرق والغرب حريصا عَلى فرض سلطته عليها وإخضاع القبائل المحيطة بها. ففي سنة **٩٤٨**هـ عمل التدابير لتحصين رخية وشبوة على الحدود الغربية وتأمين ما بينهما من مياه وسبل، وله في الاحتفاظ بشبوة حوادث ذات شأن،

وكانت صلاته بقبائل الجوف حسنة، وربما استخدمهم في بعض أغراضه وسلطهم لمشاغبة بعض القبائل الحضرمية المناوئة له، وقد استعان به ابن عبدالواحد أمير حبان، فجاءه وأبو طويرق في شبوة يستنجد به على ابن ثاقب صاحب يشبم، فتوجه معه ونهبها وأحرق فيها ثم عاد إلى شبوة. أما على الحدود الشرقية فقد قام بعدة حملات لإخضاع المهرة في الشرق والاستيلاء على بلادهم.

أما أولى أعماله الحربية فقد كانت الاستيلاء على شبام، فقد قصدها لانتزاعها من آل محمد الذين استقلوا بالسلطة فيها، فكتب إليهم ينذرهم وينصحهم بالتسليم فرفضوا ولم تستمر مقاومتهم أكثر من ليلة واحدة دخل أبو طويرق على أثرها إلى شبام منتصراً.

وفي ذي الحجة من سنة **٩٢٧**هـ اتجه إلى تريم فحصرها نحو عشرين يوماً، وكان بها محمد بن أحمد بن جردان وآل يماني وآل عمر، ثم رماها بعلوق الروم فاستسلموا وسلموا البلاد، وأجلى آل يماني وأبقى عبيدهم المعروفين الآن بعبيد يماني، وذلك أول دولة آل جعفر الكثيريين بتريم.

وأذعنت هينن لأبي طويرق في ذي الحجة من سنة **٩٢٧**هـ بعد حصار دام أشهراً، ثم طفق يزحف بجيوشه على جميع حضرموت حتى خضعت له خضوعاً تاماً وتنازل له أخوه الأكبر محمد عن الولاية، وكتب بخط يده إلى خطيب الشحر الشيخ أحمد بن محمد السبتي أن يسقط اسمه من خطبة الجمعة ويخطب لأخيه بدر، وكان ذلك في سنة **٩٢٧**هـ.

ثم أخذ السلطان بدر ينشئ المحاكم القضائية وينظم شؤون الإدارة ويدير ملكه بحزم وعزم رغم ما كان يقاسيه من الأتعاب في مداراة عشيرته وبني عمه الذين دفعهم الحسد له إلى أن يقعوا فيه بما لا يرضي من القول، ويكيدون له من المكايد ما لا يستطيع أخذهم بها ومحاكمتهم عليها.

❖ عهده:

كان القرن العاشر الذي عاش فيه أبو طويرق من أحفل العصور التاريخية في حضرموت بالعلماء والأدباء، فقد ضمت هذه المائة العاشرة جمهرة من رجال الدين والتصوف وكبار العلماء بالشريعة واللغة والشعر، أمثال الفقيه اللغوي العلامة محمد بن عمر بحرق، والشيخ الفقيه الكبير والشاعر الأديب عبدالله بن عمر بامخرمة، ووالده الصوفي الشاعر والشيخ أبي بكر العيدروس الصوفي المشهور، والعلامة الشيخ أبي بكر بن سالم صاحب عينات، والشيخ عبدالرحيم بن عمر باوزير مولى الجيش، والشيخ معروف باجمال، والشاعر الفحل عبدالصمد باكثير، وغيرهم كثير وكثير من أجلة الفقهاء كالشيخ محمد بن أحمد بافضل، وابن عبسين، وبامزروع، وبايزيد، وباجمال، وباقشير.

وقد كان السلطان بدر موفقاً في اختيار خواصه ورجال دولته من بين أمثال هؤلاء العلماء، فقد وكل كثيراً من شؤون دولته الإدارية والحربية إلى العلامة محمد بن عمر بحرق، كما ولى الشيخ عبدالله بن عمر بامخرمة قضاء الشحر، ثم كان له بمثابة كاتم السر «سكرتير» يستشيره في شؤونه ويفوض إليه قراءة الأوراق الرسمية والإجابة عليها.

وبالرغم من حظوة الفقيه عبدالله بن عمر بامخرمة لدى السلطان بدر وقربه منه فإن علاقة السلطان بدر بوالده الشيخ عمر غير حسنة؛ لخلاف كان بينهما بسبب تدخل أبي طويرق في شؤون الهجرين بلدة الشيخ عمر التي كان يحرص على بقائها بعيدة عن تدخل آل كثير، وقد نفاه أبو طويرق إلى الساحل غير مرة، ثم رأى أن يضعه تحت مراقبته فاستقدمه إلى سيئون[1] حيث أقام بها إلى أن مات.

---

(١) المشهور أن مدينة سيئون بنيت حوالي القرن السادس الهجري، وقد نقل بعض المؤرخين أن «ذي أصبح» وسيئون مدينتان بالسرير لبني معاوية الأكرمين، مما يفيد أنها أقدم من ذلك بكثير.

وهكذا نرى أن الظروف السياسية تضطر أبا طويرق أحياناً إلى الخروج عما عرف عنه من تقدير العلماء وإجلالهم، وقد اتهم مرة الشيخ معروف باجمال بموالاة أحد الثائرين عليه من بني عمه، فقبض عليه وأمر بأن يعلق في عنقه حبل وأن يطاف به في شوارع شبام وينادى: هذا معبودكم يا أهل شبام، ثم نفاه من شبام إلى دوعن، وكان الشيخ معروف من أئمة العلم والصلاح والمعروفين بالولاية.

**❖ بدر والبرتغال:**

كان للبرتغال الأمة الإفرنجية الواقعة في أقصى الغرب من أوربا مكانة في الشرق لا تضاهى تجارة واكتشافاً واستعماراً، وكانت سفنها تمخر المحيط الهندي إلى الجزائر الأوقيانوسية الشرقية وبعض بقاع الهند التي وطدت أقدامها فيها، وكانت تفكر في احتلال سواحل جزيرة العرب لتأمين مواصلاتها إلى الشرق، لذلك هاجمت موانئ عدن وقشن وسيحوت وغيرها. وفي ربيع الآخر من سنة **٩٢٩**هـ هاجموا مدينة الشحر بأربع عشرة سفينة، وأخذوا يتسورون البيوت وينهبون ويحرقون ويخربون.

وقد تصدى الناس في الشحر لقتالهم، فدارت معارك حامية في شوارع المدينة وكثر القتل في الفريقين، وقتل من أعيان الشحر جماعة منهم: الأمير مطران بن منصور، والإمام العلامة أحمد بن عبدالرحمن بلحاج بافضل، وكان هذا الإمام قد قاتل قتال الأبطال وأرسل رسلاً مستعجلين إلى داخل حضرموت برسائل مؤثرة يستنفرهم للجهاد، وقتل أيضاً أحمد وفضل ابنا رضوان بافضل، والفقيه يعقوب بن صالح الحريضي وخلق كثير، ودفن سبعة من الشهداء في موضع واحد لا تزال قبورهم معروفة إلى اليوم في حارة «عقل باغريب».

واستمر القتال في المدينة من يوم الجمعة إلى يوم الأحد حيث اضطر البرتغاليون إلى الانسحاب إلى سفنهم ليلة الإثنين، فضربوا عرض البحر

متجهين نحو الهند، وتكررت محاولاتهم بعد ذلك لمهاجمة الشحر ولكنهم لم يظفروا بطائل.

وفي سنة **٩٤٢**هـ قرر البرتغاليون القيام بحملة كبرى لتنفيذ خطتهم، فأقبلوا بعدد كبير من السفن، وكان أبو طويرق موجوداً بالشحر هذه المرة، فأعد العدة لقتالهم، ولم يكد جنود الإفرنج ينزلون إلى البر حتى أرسل أبو طويرق إلى سفنهم من يأسرها ويلقي القبض على من فيها، واشتد القتال في البحر والبر، وصمد جنود أبي طويرق وقاتلوا قتالاً شديداً، وطلعت شمس يوم الأحد لخمس من رمضان وقتلى الإفرنج في كل شارع.

وعلم الذين في البر من جنود البرتغال بأن سفنهم قد وقعت في يد بدر وأن جنوده يسحبونها إلى الساحل سحباً وبحارتها يقادون بالأكبال فاضطروا إلى طلب الأمان وتسليم أنفسهم، فأمّنهم أبو طويرق ومن بينهم القبطان الأكبر، وكان عدد الأسرى في هذه الحادثة سبعين، فرقهم بدر على فرق عساكره، فجعل لأشراف الجوف الذين حضروا المعركة عشرة أسارى، وللعساكر الزيود عشرة، وللجنود من يافع عشرة، وللعبيد النوبيين عشرة، واستولى على سفنهم ونقودهم وعبيدهم وجميع ما معهم من أموال، وعثر على جماعة منهم مستخفين في بعض البيوت فألقى القبض عليهم.

وقد استطاعت إحدى السفن البرتغالية الهرب من الميناء فنجا فيها مائة شخص منهم، ثم قدم جماعة آخرون من البرتغاليين عقب انتهاء المعركة من سواحل إفريقيا الشرقية ومعهم مال فأخذهم السلطان بدر وجميع ما معهم وألحقهم بإخوانهم الأسرى المكبلين.

وأهدى السلطان بدر خمسة وثلاثين من هؤلاء الأسرى إلى السلطان العثماني في إسطنبول - القسطنطينية - تودداً إليه وطمعاً في تحسين صلته بالأتراك لتنفيذ مطامحه السياسية، كما أرسل أحد عشر أسيراً إلى أخيه محمد وهو يومئذ والي ظفار، واستصحب معه ثلاثين منهم عندما عاد إلى

داخل حضرموت في صيف سنة ٩٤٢هـ.

وتكررت حوادث البرتغاليين بعد ذلك، صلح يعقبه حرب، وحرب تنتهي بصلح، وكثر أسرى الإفرنج عند بدر واختلط الأهالي بهم، وأنس السلطان ببعضهم فجعلهم من ندمائه، حتى إنه كان ذات ليلة ساهراً معهم في أحد بيوت الشحر فحدث أن أغلقوا عليه الأبواب ليشرعوا في تنفيذ مؤامرتهم لاغتياله، فأسرعت إليه بعض الجواري تُسِرُّ إليه الخبر فاستطاع أن يحبط مؤامرتهم بالتسلل خفية من مؤخرة البيت، فلما أصبح أمر بهم فقتلوا عن آخرهم وبعث برؤوسهم إلى السلطان سليمان القانوني عاهل الترك.

وكان آخر صلح عقده السلطان بدر مع البرتغاليين في شوال سنة ٩٤٤هـ، عندما وصل عبدالله بن أرقل من الهند في سفينة إفرنجية، وتوسط في الصلح، فأجابه السلطان وفك أسراهم.

**❖ بدر وعاهل الترك:**

من بين التدابير التي اتخذها أبو طويرق لحماية بلاده في الداخل ومن الخارج أن أخذ يكاتب السلطان سليمان القانوني عاهل الدولة العثمانية التي كانت لذلك العهد الدولة الوحيدة المسْلِمة التي ينظر إليها العالم بعين الإكبار والرهبة، وكان في رسائله يبذل الطاعة للدولة ويستنجدها على البرتغال الذين يهددون سلامة بلاده.

وكان الأتراك بدورهم يتطلعون إلى التوسع في الشرق ويغيظهم ما يسمعون من بطولة البرتغال وسعيهم لبسط نفوذهم في البلدان الإسلامية الشرقية، فجهزوا في سنة ٩٤٤هـ جيشاً عظيماً مكوناً من نحو أربعين ألف مقاتل بقيادة وزير الدولة بمصر سليمان باشا الألباني، وزودته بأسطول بحري مؤلف من مائة سفينة صغيرة وما يزيد عن ثمانين سفينة كبيرة، وتوجه قاصداً نحو الهند.

وفي جمادى الأولى من تلك السنة وصلت إلى ميناء الشحر سفينة

تركية تحمل مؤناً للجيش التركي لتودع هناك تحت تصرف الجيش، فيها مقادير كبيرة من البر والشعير والفول والبصل والزيت وعدد من المدافع والأسلحة.

وفي ربيع الأول من هذا العام كتب الباشا سليمان إلى السلطان بدر يخبره بوصوله إلى عدن، وأنه استولى عليها بدون قتال، وقبض على الشيخ عامر بن داود آخر ملوك بني طاهر في عدن واليمن وأميرها عبدالصمد والأمير الخلي وحكم عليهم بالشنق، وتركوا مشنوقين بالجسارة قرب باب الساحل يومين كاملين، ثم دفنوا في اليوم الثالث، وغادر الباشا سليمان عدن بعد أن ترك بهرام عاملاً عليها من قبله ومعه خمسمائة تركي.

وكان قد وصل إلى الشحر ثلاثون تركياً في ربيع الأول سنة ٩٤٤هـ ليخبروا السلطان بدر بالحملة التي أعدها السلطان سليمان ضد البرتغاليين وقدّموا لأبي طويرق مرسومين وخلعتين من السلطان سليمان القانوني العاهل العثماني قدمها إليه الأمير فرحات شوماي مملوك سليمان باشا.

وبهذه المناسبة عقد السلطان بدر اجتماعا كَبيراً بمسجد الجامع في الشحر قام فيه الأمير فرحات خطيباً، فقدم إلى السلطان بدر المرسومين ونوه بالحملة التي جردت لحرب الإفرنج، ثم وقف العلامة الشيخ عبدالله بن عمر بامخرمة وقرأ المرسوم السلطاني، وبعد ذلك تكلم السلطان بدر فرحب بالمرسوم وبأول رسول تركي يصل إلى الشحر، وأشار إلى أنه سيأمر بأن يخطب الخطباء في مملكته للسلطان سليمان، وجاء يوم ٢٤ من هذا الشهر ربيع الأول سنة ٩٤٤هـ فصادف أول جمعة بعد الاجتماع السابق فكانت أول جمعة خُطب فيها لسلطان آل عثمان بحضرموت.

وغادر الأمير فرحات مدينة الشحر مزوداً بهدية ثمينة من أبي طويرق للسلطان سليمان هي قطعة من الألماس النادر الوجود وخمسمائة مثقال من العنبر الأصيل، أما فرحات نفسه فقد أهداه السلطان بدر ثلاثين بهاراً من الفلفل.

وفي رجب سنة ٩٤٤هـ وصل الأسطول العثماني إلى الشحر بعد عودته من الهند ونزلت الجنود إلى المدينة يبيعون ويشترون، وطلب الباشا بقية الأسراء، كما طلب إحضار «الفيتور» البرتغالي الأسير بحصن عرف، فأحضروا وسلموا إلى الباشا ولم يكن أبو طويرق موجوداً بالشحر هذه المرة، فناب عنه الأمير أحمد مطران في مقابلة الباشا والترحيب به، فقد قصد السفينة الكبيرة التي تحمل الباشا والمزينة بالعلم التركي، فقابله الباشا أحسن مقابلة وخلع عليه وقال له: إن الدولة العلية سترسل للسلطان بدر - فرماناً - بعقد الولاية له من باب عدن إلى مدينة ظفار وقدم له الأمير أحمد هدايا فاخرة وما يحتاجون إليه من البر، ثم غادر الباشا الشحر في طريقه إلى عدن بعدما وضع على الشحر رسوماً سنوية عشرة آلاف أشرفي تسلم كل سنة إلى مندوب الدولة الذي يصل سنوياً لتناول هذه الرسوم.

وهكذا استطاع السلطان بدر أن يحسن علاقاته مع أقوى دولة إسلامية في ذلك العهد، ويضمن ولاءها ومساعدتها له.

### ❖ سلسلة اضطرابات:

لم تكن البلاد الحضرمية التي حاول أبو طويرق جمع شتاتها تحت لواء واحد وسلطة واحدة مستعدة لقبول هذه الوحدة، فهناك من العوامل المتعددة ما يجعل ضمان هذه الوحدة التي سعى لها أبو طويرق أمراً بعيد المنال صعب التحقيق، فقد كان الأمراء من آل كثير ورؤساء القبائل وغيرهم من كل طامح وطامع سبباً في تعكير الجو السياسي وإحداث القلاقل والمشاغبات وإثارة الفتن والثورات، حتى لقد كان الجانب الأكبر من عهد أبي طويرق عبارة عن سلسلة من الاضطرابات والثورات لا تنطفئ ثورة حتى تندلع نيران أخرى، ولا تهدأ فتنة حتى تشب فتنة أخرى، ويظهر أن صعوبة المواصلات وعدم توفر المال الكافي لأرزاق الجنود من بين الأسباب التي حالت دون القضاء على هذه الاضطرابات.

### ❖ قبائل الحموم:

بدأت قبائل الحموم في الساحل بالتحرش برعايا السلطان، فألقى أبو طويرق القبض على جماعة منهم، فأعلنوا العصيان وأكثروا من النهب والسلب وقطعوا السبل وروعوا المارة حتى هرب الناس من ضواحي الشحر إليها، فجهز أبو طويرق عدداً من جنوده لقمع ثورتهم، فتوجه الجنود يلقون القبض على كل من يلقونه منهم حتى انتهوا إلى غيل بن يُمَيْن فاستولوا عليها سنة ٩٣٦هـ، وهاج الحموم وفكروا في القيام برد فعل، فأغاروا على تبالة ونهبوا منها أموالاً كثيرة، كان الناس قد نقلوها إليها خوفاً من البرتغاليين وقتلوا أشخاصاً.

### ❖ نهد:

وفي غرب حضرموت ثارت نهد تحت رئاسة محمد بن علي بن فارس النهدي، فوجه إليهم أبو طويرق حملة شتت شملهم وأسرت ابن فارس فعظم أسره على نهد وطفقت تعمل كل ما في استطاعتها لمناوأة بدر والكيد له، وبينما كان السلطان ماراً ببلاد نهد في طريقه إلى دوعن اعترضه من السور - موضع لنهد - مائة وستون فارساً غضباً لصاحبهم، وبعد توسط المصلحين وافق أبو طويرق على إطلاقه.

واستمرت المناوشات بين نهد والسلطان حتى زحف ثابت بن علي بن فارس النهدي على دوعن فاستولى على القرين سنة ٩٤٠هـ بعد حصار طويل وبعد إطلاق حجر العرادة على البلاد - آلة حربية أشبه بالمنجنيق وأصغر منه - وزاد ذلك في نقمة أبي طويرق على نهد، فحمل عليهم حملة كبرى زحزحهم بها عما استولوا عليه، ثم أزالهم من منطقتهم الكسر حتى أخذوا يستنجدون ببعض ولاة اليمن، فتوسط هذا في صلح يقضي بعودة نهد إلى منطقتهم.

### ❖ عمد ودوعن وسيبان:

وامتد لهيب الثورة إلى وادي عمد حيث ثار هناك واليها فارس بن عبدالله العامري، فسار إليه السلطان بدر بنفسه واستولى على الوادي بعد قتال شديد وألقى القبض على فارس العامري، وعند عودته من عمد عرَّج بالهجرين، وكانت قد ثارت هي الأخرى فدخلها بدون قتال، وأخرج منها ولاتها من آل عامر.

وعلم أبو طويرق بأن الشيخ عثمان العمودي في دوعن قد عقد معاهدة مع نهد ضده، فهاجمه في ٩ رمضان سنة ٩٤٨هـ واحتل قيدون واستولى على الحصن بعد أن اضطرت حاميته إلى التسليم، وكانت هذه الحامية تحت قيادة الشيخ أحمد العمودي شقيق الشيخ عثمان حاكم دوعن، وتوالت الحملات على دوعن، والعمودي مُصِرّ على المقاومة حتى سنة ٩٥١هـ حيث عقد السلطان بدر صلحاً مع العمودي نقضه الأخير سنة ٩٥٥هـ، فقد اتحد مع آل عامر وآل عبدالعزيز والشنافر والعوامر ضد بدر، وعاثوا في البلاد وروعوا السلطان واستولوا على بور وأغاروا على تريم وهينن، وحاصر آل عامر شبوة وانهزمت عساكر بدر ولم تستطع الثبات والوقوف أمام القبائل المتحدة على الثورة.

وانتهزت قبائل سيبان فرصة هذه المشاغبات فأدلوا بدلوهم بين الدلاء، وأقلقوا سكان روكب وغيل باوزير، فابتنى السلطان بدر حصناً في روكب وحصنه بالجنود خوفاً من صيال سيبان.

### ❖ عبيد يماني:

وتجمع عبيد يماني - الذين سبق لهم ذكر - في أسفل وادي حضرموت ومعهم أخلاط من بعض القبائل الناقمين على أبي طويرق أو الطامعين في السلب والنهب، فعاثوا في الأرض وأكثروا الفساد، فجهز السلطان بدر عدداً كبيراً من جنوده لقتالهم في سنة ٩٥٨هـ فحاصرهم الجنود

في قرية تُدعى «الجرب» بأسفل الوادي، واشتد عليهم الحصار حتى أكلوا الجلود والميتة، ثم هجم عليهم الجنود وقتلوهم عن آخرهم وكانوا خمسمائة.

### ❖ ثورة المهرة:

وعلم السلطان بدر بأن المهرة تتجمع في المشقاص لمهاجمة الشحر فجهز حملة كبرى من رجال نهد والشحابلة والزيود ويافع وبني حسن تحت قيادة الأمير أحمد مطران والأمير علي بن عمر الكثيري والفقيه محمد بن عمر بحرق، وتوجه معهم هو وأخوه محمد وقد استولت الحملة على قشن، ثم عاد بالجيش بعدما بنى حصناً هناك جعل فيه حامية من جنوده وترك الأمير أحمد مطران والفقيه بحرق نائبين عنه في قشن.

ولم يلبث المهرة أن ثاروا مرة أخرى فقتلوا الأمير أحمد واستردوا بلادهم فاتَّهم أبو طويرق أخاه محمداً بإغراء المهرة وتحريضهم على العصيان فاعتقله وقيده بالشحر، وعاد مرة أخرى إلى المشقاص فأخضعهم وقتل من مقاتليهم عددا كَبيراً.

وضاقت المهرة بما تلقى من سيطرة جنود بدر، فذهب رئيسهم سعيد بن عفرار إلى الهند مستصرخاً بالبرتغاليين، وأقبل بجماعة منهم في شهر صفر سنة ٩٥٥هـ، واستولى بهم على حصن قشن وقتل جميع عساكر بدر، وبلغت أنباء هذا الحادث إلى أبي طويرق وهو بحضرموت، فقدم إلى الشحر وأنفذ جيشاً بواسطة البحر، وخاف سعيد بن عفرار فجاء إلى أبي طويرق نادماً معترفاً إلى مكان يُدعى «حيريج» أثناء الطريق، فقبله السلطان بدر وعُقِد صلح بينهما تعهد المهرة فيه بأن لا يتحرشوا بموانئ بدر ولا بأي جزء من بلاده، على أن يترك لهم السلطان حكم بلادهم بأنفسهم، وعاد أبو طويرق بعسكره من «حيريج».

## أمراء من آل كثير:

كان بعض الأمراء من آل كثير ينقمون على السلطان بدر أشياء منها: استبداده بالأمر دونهم، وإسناده شؤون الدولة الكبرى إلى شخصيات غير كثيرية، أضف إلى ذلك ما تجيش به نفوس الأقران من التنافس والتكالب على الجاه والمجد والمطامع المادية، فكان ذلك سبباً في تعكير الجو بينهم وبين أبي طويرق.

فقد ثار في شبام علي بن عمر الكثيري وخلع طاعة أبي طويرق وأعلن تمرده، وناصره جماعة من وجهاء حضرموت، وفي مقدمتهم الشيخ معروف باجمال، فاهتم أبو طويرق بأمره وتابع عليه الهجمات ووالى نحوه الكتائب حتى ظفر به واستولى على شبام سنة ٩٥٨هـ وقبض عليه وسجنه بحصن مريمة الذي أصبح فيما بعد سجناً للمغضوب عليهم من أمراء آل كثير، وثار الأمير محمد بن بدر بن محمد في هينن وطفق هو والأمير محمد بن عبدالله يناوئان السلطان بدراً ويهاجمان شبام فألقى أبو طويرق القبض عليهما واعتقلهما في حصن مريمة، ولم تكن العلاقات بين السلطان بدر وبين أخيه محمد دائماً على ما يرام فقد عملت الوشايات على خلق جو من المنافسة والمعاكسة بينهما أدت إلى الفتنة والحرب، فقد جند الأمير محمد قوماً من المهرة سنة ٩٤٠هـ وغزا بهم الشحر ثم انصرف إلى المشقاص خائباً.

وساد الصفاء والوئام بعد ذلك مدة بين الأخوين ثم ساءت العلاقات بينهما مرة أخرى، فحشد محمد جمعاً كثيفاً من أهالي ظفار وآل كثير المقيمين هناك واستولى بهم على قشن، ثم عادت الأمور إلى مجاريها وتم الاتفاق بين الأخوين، واكتفى الأمير محمد بن عبدالله بولاية الشحر نائباً عن أخيه بدر، وبقي كذلك حتى وافته المنية.

### ❖ أبو طويرق في المعتقل:

وهكذا أخذت الحالة تسير من سيئ إلى أسوأ وتعددت الثورات والفتن

واستفحل الخلاف بينه وبين الناقمين عليه من أعيان آل كثير وعلى رأسهم ابنه الأمير عبدالله الذي كان يعارض سياسة أبيه ولا يوافق على كثير من تصرفاته، فقرروا القبض عليه وإبعاده عن ميدان السياسة، فدخل عليه ابنه عبدالله في بضعة نفر وهو بحصن سيئون فألقى القبض عليه وحبسه في بعض حجرات القصر أياماً، ثم نقل إلى حصن مريمة حيث تقرر اعتقاله هناك، وكان ذلك في شهر صفر سنة ٩٧٦هـ.

وأدركت أبا طويرق - وهو في معتقله - علة لزم بسببها الفراش، ولما ثقل عليه المرض أعيد إلى سيئون بعد حوالي سنة ونصف من اعتقاله حيث أدركته الوفاة في العشر الأواخر من شعبان سنة ٩٧٧هـ عن خمسة وسبعين عاماً قضاها في نضال وكفاح من أجل تحقيق مطامحه الكبيرة.

ومهما قيل في أسباب فشل أبي طويرق في إخماد الثورات التي عمت أجزاء البلاد في النهاية ومهما قيل في تعليل نقمة ابنه عبدالله وبعض الأمراء من آل كثير عليه فإن الرجل كان ناجحا إلى حد بعيد في كثير من أعماله العسكرية والإدارية التي قام بها، حتى صح أن يقال: إنه الحاكم الوحيد الذي استطاع أن يوحد حضرموت جميعها تحت حكمه من بين حكام حضرموت في تاريخها الإسلامي.

فقد استطاع أن يؤمن بلاده ضد الغزو الخارجي وأن يقضي على كثير من أسباب الفوضى ودعاتها في الداخل مستعيناً في ذلك بالأسلحة النارية التي قدمتها له الدولة العثمانية والتي مكنته من التفوق على جميع خصومه، وكان استعمال هذه الأسلحة لأول مرة في تاريخ حضرموت، وكانت طريقته في حماية الأمن في الداخل تعتمد على إنشاء سلسلة من مراكز الحدود مجهزة بالجنود يعمل كل منها تحت إمرة قائد حربي ووضع حاميات في نقط استراتيجية مهمة في طول البلاد وعرضها لتأمين المواصلات وإرهاب

كل من تحدثه نفسه بتعكير الأمن.

وإذا كانت حكومة السلطان بدر حكومة عسكرية في جوهرها فإنه لم ينس النواحي المدنية في الإدارة، فقد عين فيما سبق قضاة في أهم مدن البلاد للفصل بين الناس بموجب أحكام الشريعة الإسلامية، ويقال بأن قاضيه في الشحر العلامة الفقيه الكبير عبدالله بن عمر بامخرمة كان يعتبر بمثابة رئيس القضاة، فتقدم إليه جميع طلبات الاستئناف من محاكم القضاة الآخرين، كما كان مسئولاً عن نواحٍ أخرى في الإدارة، فهو لذلك أول سكرتير للدولة في حضرموت.

وقد اختار أبو طويرق عاصمته مدينة سيئون ثم بقيت المركز التقليدي للسلطنة الكثيرية منذ ذلك الحين إلى الآن، وإن كان المركز الإداري قد تحول - كما يبدو في أواخر حكم أبي طويرق - إلى الشحر لأهميتها كميناء على الساحل ذات أهمية عظيمة في السيطرة على الداخل.

ولا يُعرف النظام المالي الذي اعتمد عليه أبو طويرق، وإن كان من المحتمل أنه كان يعتمد غالباً على الضرائب الجمركية، وربما يضاف إلى ذلك الضرائب التي يفرضها قواد الحاميات على مناطقهم، وبالجملة فقد حكم أبو طويرق حضرموت حوالي ستين عاماً كانت من أخصب العهود الحضرمية بالحوادث الجديرة بعناية المؤرخين والوقوف عندها طويلاً.

وقد حكم البلاد بعد وفاته ابنه عبدالله بن بدر المتوفى سنة ٩٨٥هـ، بعد أن حارب أخاه جعفراً الذي أعلن العصيان في الشحر واستقل بحكمها فنهض إليه وأخرجه منها ونفاه إلى قشن.

ومن أشهر أبناء أبي طويرق السلطان عمر بن بدر، ممدوح الأديب الشاعر الكبير عبدالصمد باكثير والمتوفى بالشحر سنة ١٠٢١هـ، ومن أشهر مراثي عبدالصمد له قصيدته التي يقول في مطلعها:

هوى من سماء المجد كوكبها القطب  فأظلم في أقطارنا الشرق والغرب

تضعضع طود المجد وانهدَّ ركنه فيالك ركناً قد تضمنه الترب
ثوى عمر الخيرات أكرم من سعت إلى سوحه تطوى سباسبها النجب

ولعمر بن بدر ولدان هما: عبدالله بن عمر، جد سلاطين آل عبدالله الحاليين الذي اعتزل السلطنة بعد ثلاث سنوات من توليه، والآخر بدر بن عمر، الذي يقال: إنه اعتنق مذهب الزيدية، وسنتحدث عنه في ترجمة خاصة به.